

قصة

سیدنا عیسیٰ علیہ السلام



obeikandi.com

## قصة سيدنا عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام

### ١. قصة خارقة للعادة

ويجيء دور سيدنا عيسى ، وهو آخر الرسل ، قبل نبينا محمد رسول الله ﷺ وهي قصة تجلت فيها إرادة الله القاهرة ، وقدره الله المطلقة وحكمة الله الدقيقة ، فأمره كله خارق للعادة ، وولادته خارقة للعادة ، حارت فيها الأبواب ، ونُسخت فيها القوانين الطبيعية ، وشقَّ الإيمان بها والتصديق لها على من آمن بالقوانين الطبيعية ، كالإله لا يزول ولا يحول وآمن بالتجربة والمشاهدة ، وبأحكام الطب والطبيعة ، كناموس لا يتغير ولا يتبدل ، وجهل قدرة الله التي أحاطت بكل شيء ، وغلبت على كل شيء ، وإرادته التي لا يحول دونها شيء : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

[يس: ٨٢]

وهان هذا الإيمان على من آمن بالله كإله قادر مريد ، خالق صانع ، ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤] .

وآمن بخلق آدم من ماء وطين ، ومن غير أم وأب ، وولادة من أم من غير أب أهون وأيسر للتصديق من ولادة من غير أم وأب ، لذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

[آل عمران: ٥٩]

## ٢- أمر كله عجب

وأمر سيدنا عيسى كله عجب ، وقد كانت ولادته في عصر بلغت فيه « يونان » أوجها في العلوم العقلية والرياضية ، وكانت للطب دولة وصوله .

## ٣- خضوع اليهود للأسباب الظاهرة

وخضع اليهود - وهم أمة كثر فيهم الأنبياء - للعلوم السائدة في عصرهم ، واشتهر فيهم إنكار الروح وما يتصل بها ، واعتادوا أن يفسروا كل ما يرونه تفسيراً مادياً ، فلا وجود لشيء عندهم ولا إمكان لحادث إلا بالسبب والعلّة ، فكانت المعجزات التي أكرم الله بها سيدنا عيسى علاجاً للعقل الماديّ الضيق ، وحاجة العصر ونداء الزمان .

وأمعن اليهود في الوقوف عند الظاهر والتمسك بالقشور دون اللباب ، والتشبّث بالمظاهر دون الحقيقة ، وغلّوا في تقديس العنصر والدم ، وفي حب المال والمادة ، وانهمكوا في الحياة انهماكاً زائداً ، وقست قلوبهم ، وجفت طبائعهم ، فلا يرقون للضعيف ، ولا يعطفون على الفقير ، ويعاملون من لا يجري في عروقه الدم الإسرائيليّ معاملة الحيوانات والكلاب ، أو الجمادات التي لا روح فيها ، ويخضعون للأقوياء الأغنياء ، ويتجبرّون على الصغار الفقراء ، ويقسون عند القدرة ، ويلينون عند العجز ، قد ولّدت فيهم حياة الذلّ والعبودية التي عاشوها في الحكم الروماني الذي دام مدة طويلة في سوريا وفلسطين ، النفاق والخنوع والتحيلّ والدهاء ، واللجوء إلى المؤامرة والسرية .

### ٤- استخفاف وتمرد

وولد فيهم الاستخفاف بالأنبياء والاجترأ عليهم ، حتى بالقتل ، والتعامل بالربا ، والعبث بالتعاليم الدينية ، الغلظة والجفاف ، وضعف العاطفة الإنسانية ، وتجردت قلوب كثير منهم من حبّ الله الخالص ، والرحمة على الإنسان — مهما كان أصله وفصله — واحترام الإنسانية ، وكادوا ينسون معاني المؤاساة والمساواة والبرّ والكرم ، وكانوا يؤمنون بالنبوءات والرسالات ، وقد كثرت فيهم الأنبياء ، وزخرت صحفهم بأخبارهم ، ولكنهم قد أصبحوا في الزمن الأخير لا يؤمنون إلا بما وافق هواهم ، وأيديهم في سيرتهم وأخلاقهم ، أما من انتقدهم وحاسبهم ودعاهم إلى الدين الصحيح ، والحق الصريح ، وإصلاح الحال ، عادوه وحاربوه ، وكانت عندهم جراءة على البهت والافتراء ، وكتمان الحق ، وشهادة الزور .

### ٥- نعمة الله على بني إسرائيل

وكانوا أمة تمتاز عن الأمم المعاصرة لهم ، بعقيدة التوحيد ، وذلك سرّ تفضيلهم على غيرهم حينئذٍ ، وقد قال الله تعالى :

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] .

\*\*\*

## ٦- نكران للجميل

ولكن تسربت إليهم بحكم الاختلاط ، ومجاورة الشعوب المشتركة الوثنية ، وبطول العهد بتعاليم الأنبياء ، عقائد زائفة ، وعادات جاهلية ، وقد عبدوا العجل في مصر ، وبالغوا في تقديس عُزير وتعظيمه ، حتى تخطَّوا به حدود البشرية ، وبلغت بهم الوقاحة إلى أن نسبوا بعض أعمال الشرك والوثنية ، وأعمال السحر والكفر ، والأفعال الشنيعة ، إلى بعض الأنبياء ولم يتقوا الله فيهم .

## ٧- زهو وإدلال

وكانوا رغم كل ذلك شديدي الإدلال بالنسب ، شديدي الاعتماد على الأُماني والأحلام ، يقولون : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ، ويقولون : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ [آل عمران: ٢٤] .

## ٨- ولادة المسيح تتحدى المحسوس المعروف

وكانت ولادة المسيح وحياته ودعوته ومعيشته تحديًا لكل ذلك ، تحديًا للمحسوس المقرّر ، تحديًا للأعراف الشائعة ، والعادات المتبعة ، والقوانين المرسومة ، والمثل العليا التي يؤمن بها اليهود ، والغايات التي يتنافسون فيها ، ويتقاتلون عليها ، فولد من طريقة غير مألوفة ، وكلّم الناس في المهد ، ونشأ في أحضان أم فقيرة متبتلة ، وعاش في جوّ مليء بالطعن والقدح ، بعيد عن مظاهر العظمة والغنى ، يجالس الفقراء ، ويؤاكلهم ، ويحنو عليهم ، ويواسي الضعفاء والغرباء ، ولا يفرق بين فقير وغني ، وحاكم ومحكوم ، وشریف ووضيع .

## ٩- معجزات المسيح

وأكرمه الله بالنبوة والوحي ، وآتاه الإنجيل ، وأيده بروح القدس ، والمعجزات الباهرة ، يشفي الله به المرضى الذين عجز عن مداواتهم الأطباء ، ويرى الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله ، ويخلق للناس من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله ، وينبئ بما يأكله الناس ويدخرونه في بيوتهم .

فيعيد بكل ذلك الثقة بما جاء في التوراة بها ، ويكذب العبادة للحس والتجربة ، فقام الذين ينكرون سعة القدرة الإلهية ، وقوة الإرادة الربانية ، فقرروا أن لا جديد وأن لا مزيد فيما علموه وشاهدوه .

## ١٠- دعوته إلى الدين وتكذيبه اليهود

وكذب اليهود في كثير مما تخيلوه وغلوا فيه ، وحرّموا ما أحله الله ، وأحلّوا ما حرّمه الله ، فقام يدعوهم إلى روح الدين ولبابه ، وأصله وحقيقته ، والحبّ لله حبًّا يغلب على كل حبّ ، والرحمة على الإنسانية واحترامها ، والمواساة للفقراء ، ويدعوهم إلى التوحيد الخالص ، ورفض كل ما دخل على دين الأنبياء من عادات جاهلية ، وعقائد باطلة .

## ١١- اليهود ينصبون له الحرب

وشق كل ذلك على اليهود ، ونصبوا له الحرب ، ورموه عن قوس واحدة ، ورشقوه بالتهم والقذائف ، وتناولوه بالسب القبيح والقول البذيء ، وتناولوا أمه مريم البتول بالقذف والطعن ، وعاكسوه وطاردوه ، وأهاجوا له الأوباش ، وسدوا في وجهه الطرق .

## ١٢- قصة عيسى في القرآن

ثم أرادوا قتله والتخلص منه ، فحماه الله وردّ كيدهم عليهم ، ورفعته إليه وكرّمه ، اقرؤوا قصته في القرآن : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا لِلَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالَهُمْ مِنْ نَّصِيرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ



خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ .

[آل عمران: ٤٥]

### ١٣- سيرته ودعوته في القرآن

واقرؤوا وصفه تعالى لسيرته ودعوته في قوله : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ﴾ [مريم: ٣٠] .

### ١٤- صراع قديم

ووقع لسيدنا عيسى ما وقع للأنبياء قبله ، فابتعد عنه الرؤساء والزعماء ، وهجرة الأغنياء والأقوياء ، ورأوا في الإيمان به واتباعه غضاظةً وعبياً ، وشق عليهم التنازل عما كانوا عليه من رياسة وزعامة وامتياز وسيادة ، وصدق قول الله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۖ ﴾ [سبأ: ٣٤] .

### ١٥- إيمان عامة الناس وفقرائهم

ولما يؤس عيسى منهم ، وشاهد فيهم العناد والكفر ، ورأى أنهم قد جحدوا بما جاء به من آيات ومعجزات باهرات استيقنتها أنفسهم ، واستصغروه لأنه لم يكن صاحب حول وطول ، أقبل على عامة الناس وفقرائهم ، وقد لانت قلوبهم ، وصفت نفوسهم ؛ لأنهم يأكلون بكد يمينهم وعرق جسمهم ، لا يتفاخرون بنسب ، ولا يتطاولون بجاه ومنصب ، فأمنت

منهم طائفة ، فيها القصارون ، وفيها صيادو الأسماك ، وفيها أهل الحرف والمهن .

### ١٦- نحن أنصار الله

فآمنوا بالمسيح والتفوا حوله ووضعوا أيديهم في يده وقالوا : ﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ .

يقول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٥٢) رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿ [آل عمران: ٥٢] .

### ١٧- سياحة ودعوة

وكان سيدنا عيسى يقضي أكثر أوقاته في السياحة ، والانتقال من مكان إلى مكان ، يدعو بني إسرائيل إلى الله ويهدي خرافهم الضالة إلى ربها وسيدّها ، ويتفق له في هذه الجولات والرحلات اليسر والعسر ، والضيق والرخاء ، ويتحمل ذلك صابراً ، ويقبل هذا شاكراً ، ويصبر على الجوع ، ويجترئ بما يسد الرمق .

### ١٨- الحواريون يطلبون مائدة من السماء

أما الحواريون فلم يكونوا بمنزلة من الصبر والجلد والتقشف والزهادة ، وأصابعهم شيء من ذلك ، فطلبوا من سيدنا عيسى أن يسأل الله أن ينزل لهم مائدة من السماء يأكلون منها ، ويشبعون بعد جوع وينعمون بعد عناء .

## ١٩- سوء أدب

ولم يكونوا متأدبين في سؤالهم ، فقالوا : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۚ ﴾ .

ولم يعجب عيسى سؤالهم ، وكره الأسلوب الذي خاطبوه به ، والأنبياء جميعاً يطالبون أممهم بالإيمان بالغيب ، ويكلفونها إياه ، وليست المعجزات مخاريق يسلى بها الأطفال ويلهى بها الأعمار ، إنما هي الآيات من الله يظهرها على أيدي أنبيائه حين يشاء ، وتقوم بها حجة الله على العباد ، فلا يمهلون بعد ظهورها وإنكارها .

## ٢٠- تحذير قومه من سوء العاقبة

لذلك خاف سيدنا عيسى عليهم ، وحذّرهم من سوء العاقبة ، ونهاهم عن امتحان الله تعالى ، فهو أعلى وأجل من ذلك .

## ٢١- إلحاح وإصرار

ولكن الحواريين تشبثوا بسؤالهم ، وذكروا أنهم جادّون في هذا السؤال ، لا يقصدون امتحاناً إنما يريدون اطمئناناً ، وليكون ذلك ذكرى للأجيال القادمة ، وقصة تحكي وتروي على مر الأيام ، فتكون دليلاً على صدق هذا الدين ومنزلة المؤمنين الأولين والحواريين الصادقين .

## ٢٢. القرآن يحكي القصة

ودعوا القرآن يحكي هذه القصة :

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢] .

## ٢٣. اليهود يحاولون التخلص من سيدنا عيسى

وعيل صبر اليهود ، وفاضت كأس عدائهم وعنادهم ، فأرادوا التخلص من سيدنا عيسى ، فرفعوا قضيته إلى الحاكم الرومي وقالوا : إنه رجل شائر فوضوي ، مرق من ديننا ، واستهوى شبابنا ، ففتنوا به ، وفرّق أمرنا ، وسفه أحلامنا وشغل بالنا .

## ٢٣. أسلوب الناقمين والسياسيين

وهو خطر على الدولة ، لا يخضع لنظام ، ولا يتقيد بقانون ، ولا يعظم عظيمًا ، ولا يقدر قديمًا ، وهو رجل ثوري ، إذا لم يكف شره فإنه يتفاقم ، ولا تستصغر الشرارة مهما كانت تافهة .

## ٢٥- مكر ودهاء

وكان كلامًا مملوءًا بالمكر والدهاء ، مصبوغًا بالصبغة السياسية ، وكانوا يعرفون أن الجانب الديني لا يثير الحكام ولا يهيجهم ، فقد كان من سياستهم ألا يدخلوا في أمور اليهود الدينية ، ولذلك خلطوا الكلام بالسياسة .

## ٢٦- مشكلة

وكان من الصعب أن يتحقق الحكام الأجانب المشركون حقيقة الأمر ، ويعرفوا أغراض اليهود ، وسبب عدائهم للمسيح وكانوا في شغل شاغل عن ذلك بالأمور الإدارية ، ولكن اشتد إلحاح اليهود ، وطال ترددهم إليهم ، فأرادوا التخلص من هذه القضية التي أصبحت حديث البلد .

## ٢٧- سيدنا المسيح في المحكمة

وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت ، وكان اليهود لا يعملون شيئاً يوم السبت ، وكان يوم عطلة كف عن العمل ، فكانوا حريصين كل الحرص على أن يصدر الحكم قبل أن تغرب شمس يوم الجمعة ، ويستريحوا من أمر المسيح ، فناموا هادئي البال ، ويصبحوا ناعمي البال لا يزعجهم شيء .

وقد ضاق الحاكم بالقضية ذرعاً ، وليست له فيها رغبة ولا لأمتة فيها مصلحة ، وقد احتشد اليهود لسماع الحكم ، وهم بين صائح وهاتف ، ومتنذّر ومتهكّم ، والحاكم متضايق والوقت قصير ، والشمس قد مالت للغروب ، فأصدر الحكم عليه بالقتل صلباً .

## ٢٨. القانون الجنائي في ذلك العصر

وكان القانون الجنائي في ذلك العصر يوجب أن يحمل المحكوم عليه بالشنق ، صليبه الذي يصلب عليه ، وكان المشنق بعيداً كما هي العادة في البلادة المتمدنة ، وكان الجمع حاشداً يتساقط بعضه على بعض ، وكان رجال الشرطة — وأكثرهم من الأجانب — مأمورين موظفين لا رغبة لهم في هذه القضية ، وكان الإسرائيليون أشباهاً عندهم يلتبس عليهم أمرهم ، فلا يميزون بينهم ، شأن الأجانب في نظر الأجانب ، وكان الوقت مساءً قد مدّ الظلام رواقه ، وكان بعض اليهود المتحمسين السفهاء من الشباب ينهالون على السيد المسيح ، ويتدافعون عليه ، يسبون ، ويعيرونه ، ويريدون إيذائه وإهانته .

## ٢٩. عيسى يتحمل الأذى

وكان السيد المسيح لاغباً ، قد أضناه الجهد ، وطول الوقوف في المحكمة وتحمل الأذى ، وكان الصليب ثقيلاً ، وقد كلف حمله ، فكان لا يستطيع أن يسرع في المشي .

## ٣٠. تدبير إلهي

وهنا أمر الشرطي الموكل به شاباً إسرائيلياً بحمل العود ، وكان أشد زملائه حماسة وأكبرهم سفاهة ، وأحرصهم على إيذاء السيد المسيح ومبادرة إليه ؛ حتى ينتهي الأمر سريعاً ، ويتخلص من هذه المسؤولية المرهقة .

### ٣١- ولكن شبه لهم

وهكذا وصل الموكب إلى باب المشنق ، فتقدم شرطة المشنق ، وتسلموا الأمر من الشرطة المدنيين ، ورأوا الشابَّ يحمل الصليب ، واختلط الحابل بالنابل ، وكثر الضجيج ، فأخذوا بيد الشاب الحامل للصليب ، وهم لا يشكون في أنه المحكوم عليه بالصلب ، وهو يصيح ، ويضجّ ، ويعلن براءته وأنه لا شأن له بالحكم والصلب ، وإنما كلف حمل العود سخرةً وظلمًا ، وشرطة المشنق لا يلتفتون إلى ذلك ، ولا يفهمون لغته ، لأنهم من الروم ، واليونان الأمة الحاكمة .

### ٣٢- تنفيذ حكم

وكل مجرم يتنصّل من جريمته ، وكل مجرم له صياح وعويل ، وأخذوه ونفذوا فيه الحكم ، واليهود واقفين على بعد ، والدنيا ليل وظلام ، وهم يظنون أن المصلوب هو المسيح <sup>(١)</sup> .

### ٣٣- رفع عيسى إلى السماء

أما سيدنا عيسى ابن مريم فقد نجّاه الله تعالى من كيد اليهود ورفعاه إليه مكرّمًا مطهرًا من الذين كفروا .

\*\*\*

(١) استندنا في تفاصيل هذه القصة والملابس والأجواء التي أحاطت بها إلى الوثائق المسيحية التاريخية والقانونية التي ظهرت ودوّنت في العصر الأخير .

### ٣٤- القرآن يتحدث عن القصة

وذلك قوله تعالى وهو يتحدث عن اليهود : ﴿ وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ [النساء: ١٥٦] .

وهو في السماء كما يريد الله تعالى ، وهو القادر على كل شيء ، وقد كانت ولادته عجبًا ، وحياته ، وأمره ، من أوله إلى آخره عجبٌ خارق للعادة مثبت للقدرة الإلهية المطلقة .

### ٣٥- نزول عيسى قبل القيامة

وسينزل من السماء حين يريد الله ، ويقيم الحجة على من فرطوا فيه وأفرطوا من اليهود والنصارى ، وينصر الحق ، ويكبت أهل الباطل ، كما أخبر به نبينا ﷺ ووردت به الأخبار الصحيحة ، والأحاديث المتواترة ، واعتقده المسلمون في كل عصر ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩] .

### ٣٦- بشارته ببعثة سيدنا محمد ﷺ

ولم يكمل سيدنا المسيح مهمته في الدعوة لشدة محاربة اليهود ، وكيدهم له ، وضعفه وقلة أنصاره ، فودّع الناس ، وامتلأ أمر ربّه ، وبشّر الناس برسول يأتي من بعده يكمل ما بدأه ، ويعمّم ما خصّصه ، وبه تتمّ نعمة الله على عباده ، وتقوم حجته على خلقه : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ



إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴿٦﴾ . [الصف: ٦] .

### ٣٧- من التوحيد الخالص إلى عقيدة غامضة

ومن غرائب تاريخ الأديان ، ومما تدمع له العيون ، وتذوب له القلوب ، أنه تحولت دعوة المسيح إلى التوحيد الخالص ، والدين السهل السائغ البعيد عن كل غموض وتعقيد ، وتحريف وتأويل بعيد ، والدعوة إلى بعيد ، والدعوة إلى عبادة الله وحده ، والسؤال منه ، والالتجاء إليه ، ووجهه الخالص ، إلى عقيدة غامضة ، وفلسفة معقدة ، فغلا فيه أتباعه ، وأطروه إطاراً خرج به من حدود البشرية إلى حدود الألوهية ، فقالوا : « المسيح ابن الله » ، وقالوا : ﴿ اَتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ ، وقالوا : « إن الله هو المسيح ابن مريم » ، وجعلوا من الإله الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، أسرة مؤلفة من ثلاثة أعضاء ، كلهم إله ، فقالوا : الأب والابن وروح القدس ، واعتقدوا في مريم أم المسيح ، وعاملوها بما يبلغ بها إلى درجة التقديس والعبادة ، فقالوا : « أم الله » ، وشاعت لها تماثيل وصور في الكنائس ، يخضع لها النصارى باللجوء والدعاء ، والنذر والانحناء ، وقد قال الله تعالى منكرًا ما اعتقدوه ، مستبشعًا ما فعلوه :

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۖ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٥] .

## ٢٨- عيسى يدعو إلى عبادة الله وحده

وقد دعا كغيره من الأنبياء إلى عبادة الله وحده ، فجاء من قوله في الإنجيل :  
« مكتوب للرب إلهك تسجد ، وله وحده تعبد » (متى ٤ : ١٠) ، وقوله :  
« مكتوب للرب إلهك تسجد ، وله وحده تعبد » (لوقا ٤ : ٨) .  
وقد قال الله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

[آل عمران: ٧٩]

## ٣٩- القرآن يصرح بدعوة عيسى

وقد نقل القرآن - وهو الكتاب المصدق لما بين يديه والمهيمن عليه - من إعلان سيدنا عيسى بالتوحيد الخالص والدعوة إليه ، في أسلوب صريح واضح لا مزيد عليه :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ اِسْرَٔٓءِيلَ اْعْبُدُوْا اللَّهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ اِنَّهُ مَنۢ يُّشْرِكۡ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اِلٰهُهُ عَلَيۡهِ الْجَنَّةَ وَمَا ؤُدُهٗ اَلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِيۡنَ مِنْ اَنْصٰرٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] .

### ٤٠- منزلة التوحيد في دعوته

وقال في أسلوب جميل بليغ يتذوقه كل من عرف منزلة التوحيد وسيرة الأنبياء والمرسلين ، وما طبعوا عليه من معرفة الله تعالى والخضوع له ، والرهبة منه :

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ .

[النساء: ١٧٢]

### ٤١- مشهد رائع من مشاهد القيامة

وقد صور القرآن في بلاغته وإعجازه مشهداً من مشاهد القيامة الرائعة يتبرأ فيه سيدنا عيسى عما تقوله الناس فيه ، وعاملوه به ، ويوضح دعوته في قوة وصدق ، ويدين في هذه القضية الغلاة من أمته ، وأنهم هم المسؤولون وحدهم عن هذه الجريمة ، واقرؤوا القرآن ، واستشعروا جلال الموقف وروعة المشهد : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَلَدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ [المائدة: ١١٩] .

## ٤٢- من عقيدة غامضة إلى وثنية سافرة

وانتقل دعاة المسيحية إلى أوروبا بدافع من عندهم<sup>(١)</sup> وقد شاعت فيها الوثنية السافرة من زمان ، وغاصت فيها إلى الأذقان ، فكان أهل اليونان وثنيين ، وقد تصوروا صفات الله في شكل آلهة شتى ، نحتوا لها تماثيل ، وبنوا لها معابد وهياكل ، فللرزق إله ، وللرحمة إله ، وللقهر إله ، وكانت رومية عريقة في الوثنية والتمسك بالخرافات ، وقد امتزجت الوثنية بلحمها ودمها ، وجرت منها مجرى الروح والدم ، وكان الرومان يعبدون آلهة شتى ، فلما وصلت إليهم النصرانية ، وَتَنَصَّرَ قُسْطَنْطِينُ الْكَبِيرُ سنة ٣٠٦ واحتضن الدين الجديد ، وتبناه وجعله دين الدولة الرسمي ، بدأت النصرانية تأخذ الشيء الكثير من العقائد الوثنية والتقاليد الرومية والفلسفة اليونانية ، وتدنوا إليها رويداً ، وصارت تفقد أصالتها النبوية ، وبساطتها الشرقية وحماستها التوحيدية ، ودخل فيها بعض المنافقين ، فطعموها بعقائدهم القديمة ، وذوقهم الوثني ، ونشأ من ذلك دين جديد ، تنجلي فيه النصرانية والوثنية سواءً بسواء .

وكذلك سارت النصرانية الزاحفة الفاتحة على درب غير الدرب الذي سلك المسيح بها عليه ، ودعا إليه ، وكانت كسالك طريق يضلّ عن الطريق - عن قصد أو عن غير قصد - في ظلام الليل فيواصل سيره على طريق لا يلتقي بالطريق الأول إلى الأخير .

(١) لأن المسيح لم يأمرهم بذلك ، وقد صرّح بأنه أرسل لخراف إسرائيل الضالة .

ولهذه الحكمة الدقيقة التي لا يعرفها إلا من قرأ تاريخ هذه الديانة ،  
وصفهم الله بالضلال حين وصف اليهود بالمغضوبية ، فقال على لسان  
المسلمين : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا  
الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦] .

وكانت في ذلك مأساة لأوربا ، ومأساة للإنسانية التي قادتها أوربا زمنًا  
طويلاً ، ولا تزال مسيطرَةً عليها ومتحكمة فيها .

« والله الأمر من قبل ومن بعد » .

\*\*\*\*\*